آليات بناء المفاهيم في التشبيه القرآني (الاستعارة التصورية أنموذجًا)

د. علي محمد نور مجيد عباس جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية
alimohammednoor99@gmail.com

ملخص البحث:

يؤدي التصور (بناء المفاهيم) دورًا هاماً في إدراك المعنى في اللسانيات الإدراكية، وقد تمكنت نظرية (الاستعارة التصورية) من تحليل طريقة بناء المفاهيم والمعنى في الذهن. والغرض من هذا البحث الذي يتم بالمنهج الوصفي التحليلي هو التعبير عن المفاهيم الخفية في القرآن الكريم وإظهار فنه في التعبير عن القضايا المختلفة في التشبيه القرآني والإجابة عن السؤالين: الأول: هل مفهوم الاستعارة التصورية قابل للتطبيق في القرآن الكريم؟ الثاني: كيف يتم استخدام مفهوم الاستعارة التصورية في القرآن الكريم؟

الكلمات المفتاحية: اللسانيات الإدراكية، الاستعارة، التصور، مجال المبدأ، مجال الهدف، التشبيه القرآني.

The mechanism of constructing concepts in)Conceptual metaphor as an example(Quranic simile

Ali Mohammed noor Majeed Abbas

University of BabylonCollege of Basic Education

Summary:

Conceptualization (building concepts) plays an important role in understanding meaning in cognitive linguistics, and the theory of (conceptual metaphor) was able to analyze the way concepts and meaning are built in the mind. The purpose of this research, which is conducted using the descriptive and analytical method, is to express the hidden concepts in the Holy Qur'an and demonstrate its art in expressing the various issues in the Qur'anic analogy and the answer.

Keywords: (cognitive linguistics, metaphor, conception, field of principle, field of intended meaning, Quranic simile).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين إلى قيام يوم الدين.

أما بعدُ:

فقد إحتلت اللسانيات الإدراكيةمكانة راسخة في النظريات اللسانية الحديثة، إذ يُعد ظهورها وتطورها السريع علامة فارقة في لسانيات القرنين العشرين والواحد والعشرين. وكان السبب الرئيس من وراء ذلك أنّ اللسانيات الإدراكية تُعدّ مرحلة جديدة في دراسةالعلاقات بين اللغة والتفكير، إذ تبحث اللسانيات الإدراكية العمليات التصورية التي تصاحب

استيعاب الواقع وفهمه، ومن ثَمَّ إدراكه بالوعي، وتبحث كذلك أنواع وأشكال تمثيلها العقلي.

ففي هذا العالم تحدث أفعال وتصرفات منا -على سبيل المثال- نحن نتحرك وننام ونأكل، وبهذه الطريقة نخلق بنيات تصورية أساسية تُستخدم للتفكير في أشياء أكثر تجريدًا، فإنّ تجاربنا مع العالم الخارجي تخلق في أذهاننا بُنى ننقلها إلى لغتنا الخاصة.

وهناك العديد من التصورات التي تؤثر على فهمنا المجازي للعالم، فتنشأ هذه التصورات من تفاعلنا مع العالم، بشكل نكتشفها من خلال مشاهدتنا للأشياء، وعلى وفق هذا المفهوم أُعيد النظرفي بعض القضايا اللغوية وردِّ أُصولها إلى الذهن.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون على مقدمة ومحورين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، تناولت في المبحث الأول مفهوم الاستعارة التصورية والنظرة المعاصرة لها، أما المحور الثاني فقد بينت فيه تجليات ظاهرة الاستعارة التصورية في التشبيه القرآني، ومن الله التوفيق.

المحور الأول: مفهوم الاستعارة التصورية

تُعدّ الاستعارة آلية ذهنيّة بوصفها ركيزة أساسيّة في إنتاج الخطاب وفهم دلالته، فضلًا عن كونها أداة لغوية جمالية وزخرفة بلاغية في الكلام، وقد اتسعت نظرة الدارسين والبلاغيين إلى مفهوم مصطلح الاستعارة، وبذلك أخرج الإدراكيون الاستعارة من دائرة اللغة التي بقيت فيها لأكثر من ألفي عام، فالاستعارة لم تُعد ظاهرة لغوية ناتجة عن عملية الاستبدال أو العدول من معنى حرفي إلى معنى مجازي، ((بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن)) (البو عمراني، 2009: 123)، إذ أدركوا أنّ بعض الصور البلاغية ليست فقط

تنميقًا لغويًا؛ بل هي أيضًا مفهوم إدراكي أصبح يُفهم ويؤول حسب الخلفيات الإدراكيّة التي يمتلكها القارئ/ المتلقي، ((وإنّ جزءًا هامًا من تجاربنا وسلوكياتنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته)) (لايكوف وجنسون، 1996: 12) (قريرة، 2015، وينظر: 203)؛ لذلك عدوّها آلية جوهرية بمساعدتها يتمّ وضع تصور للعديد من المفاهيم، فأصبحت الاستعارة بالمفهوم الجديد متوغلة في كل تجاربنا وممارساتنا اليومية وجزءًا كبيرًا من تفكيرنا التصوري، وبهذا يرى (لايكوف وجانسون) إنّ الاستعارة منبثقة من تصورات غير مباشرة مبنية على أنشطة إدراكية تسمح بقولبة طريقة يفهم بها الناس تجاربهم مع ما يحيط بهم في العالم من أشياء(زكراوي وبوثلجة، 2015، ينظر: 15)، فالتصور الاستعاري تعرّفه (ماريا تيريزاه كابريه) على أنّه بناء ذهني يكوّنه الفرد أو المجموعة عن شيء من الأشياء دون أن يكون ذلك الشيء موجودًا على الحقيقة (رمضان، 1432هـ، ينظر: 849)، ويذهب (لايكوف وجونسون) إلى أنّ التصور الاستعاري هو استعمال دلالة ما خاصة بشيء للتعبير عن شيء آخر،فالماء في اللغة العربية مجال استعاري تفرعت منه أنظمة دلالات مختلفة متصلة بمختلف مناحي الحياة، وهو إذنبعبارة (لا يكوف وجونسون) من الاستعارات التي نحيا بها،فاسم المكان المحسوس في (المورد والمنبع والمنهل) تتحول إلى أشياء استعارية في مختلف الدلالات المكانية، وأفعال (السقي والنهل والشرب والري) تغدو كذلك من الأفعال المجردة (غير المحسوسة) في أنشطة مجردة من قبيل: استقيت الفكرة من ذلك الكتاب، ونهلت من مناهل العرفان، ويمكن لهذا المجال أو المعجم المستعار أن تتوالد منه معاجم أخرى مضادة له لكنها لا تخرج عن دائرته الاستعارية كقولنا: أنا متعطش إلى سماع خبر سار، فالعطش تفريع استعاري مضاد من مجال الماء والسقي، وبناءً على ذلك

فالاستعارة بهذه الدلالة الإدراكيّة الواسعة ليست استعارة أدبية أو شعرية أو إبداعية بل هي جذر مولد للكلام في مختلف مقاماته (رمضان، 1432هـ: 850).

وبناءً على ما تقدم تمثّل النظرة المعاصرة للاستعارة نقطة تحول في تاريخ البلاغة الغربية. ولعل بذورها الأولى تعود إلى جهود (آيفور آرمسترونغ ريتشاردز) الذي لاحظ في كتابه (فلسفة البلاغة)، قصور النظرية الاستبدالية منتقدًا تصور أرسطو ومن سار على دربه، داعيًا إلى صياغة نظرية جديدة لتفسير ظاهرة الاستعارة (جعفري ولحمادي، 2018: 159)؛ لأنّ الاستعارة في مفهومها التقليدي جعلها لا تحقق الكفاية التفسيرية المطلوبة للظاهرة الاستعارية؛ لأنّها عجزت عن الإجابة عن الأسئلة الجديدة التي طرحها (ريتشاردز) من قبيل: كيف تعني الكلمة؟ أو كيف تعني الفكرة الصورة الذهنية ما تعنيه؟... وقادته الإجابة عن هذه التساؤلات إلى البحث في المستوى الذهني للغة مركزًا على الاستعارة كونها تمثّل بامتياز قلب هذا الإشكال، فاللغة استعارية بطبعها والفكر في جوهره استعاري.

ومن هنا نرى الاستعارة في الفكر التقليدي نظرة أولية اعتبرت الاستعارة ظاهرة لغوية محضة عُرفت بأنّها ((تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه)) (الجاحظ، 1998: 1/ 153)، أمّا في المنظور الحديث فهي ظاهرة ذهنية، ((وبهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من حقائق أصلية، بل تكون هي نفسها عبارة عن حقائق بصدد الفكر البشري والنسق التصوري البشري)) (لايكوف وجنسون، 1996: 12)، فعند حديثنا عن العلاقات والترابطات والمشابهات تفرض الاستعارة نفسها وسيطًا بين الذهن البشري وما يحيط به من أشياء، فالاستعارة التصورية ((هي إتاحة فهم شيء ما انطلاقًا من شيء آخر)) (لايكوف وجنسون، 1996: 23)، فالذي يُدرك من التعريف أنّ

الاستعارة وسيلة للفهم والإدراك؛ فسيرورات الفكر البشري تُعد استعارية في جزء كبير منها، ومن هذا المنطلق يمكننا القول إنّ النسق التصوري البشري مبنين ومحدد استعاريًا(لايكوف وجنسون، 1996، ينظر: 23)، ومن هذا نفهم أنّ المقصود الأساسي من مصطلح الاستعارة هو: الأفكار الذهنية، أمّا التعابير اللفظية فهي كاشفة عن تلك الاستعارات الذهنية، وهذه أبرز علامة فارقة في الاستعارات التصورية (عبيد، 1440هـ، ينظر: 3).

ويكمن إرجاع الاختلاف الكبير بين النظرية المعاصرة ورؤى الاستعارة السابقة في أنّه -في السنوات الفاصلة بينهما- تمّ اكتشاف نسق ضخم من استعارات الحياة اليومية العرفية التصورية. وهو نسق الاستعارة الذي يبني نسقنا التصوري اليومي، والذي يقبع خلف كثير من لغتنا اليومية. وقد دمّر اكتشاف هذا النسق المهول للاستعارة الرؤية التقليدية التي كانت سائدة (لايكوف، 2014، ينظر: 10)، فقد اشترطت الاستعارة التصورية حضور طرفيها (المستعار منه والمستعار له)، بعد أن كانت النظرة التقليدية تؤمن بحضور طرف وغياب طرف آخر (ابن الأثير، ينظر: 2/ 74).

المحور الثاني: تجليات ظاهرة الاستعارة التصورية في التشبيه القرآني

يسعى البحث هنا إلى دراسة التشبيه في التعبير القرآني دراسة تصورية إدراكية، فقد نهض القسم الأول بدراسة وصفية لمفهوم الاستعارة التصورية ودورها في فهم المفاهيم من خلال فهم مجال ما وإسقاطه على مجال آخر، بحيث يُفهَم المجال الثاني جزئيًا بناءً على المجال الأول. ويُسمى المجال المُسقط مجال (الانطلاق أو مجال المصدر)، ويُسمى المجال المُسقط عليه (مجال الهدف)، ويجب أن ينتمي كل مجال من المجالين إلى مجال

مختلف مستقل بذاته وهذا أساسًا هو مفهوم الاستعارة الذي طرحه (جورج ليكوف ومارك جونسون، ومارك تيرنر)، ولغويون إدراكيون آخرون.

إذًا، الاستعارة أداة ذهنية نتمكن بواسطتها من الإحاطة بما هو أبعد عن كفاءتنا التصورية، فبواسطة ما هو قريب نسيطر على ما هو بعيد وفالت.

ومن تجليات الاستعارة التصورية في التشبيه القرآني ما نراه في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ(50) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ(51)﴾ (المدثر: 50-51).

إنّ القرآن الكريم لا يجعل الأمور المجردة مدركة على أساس التشبيه فحسب، بل يأخذ في الاعتبار أيضًا مفاهيم جديدة تتجاوز بنياتها اللغوية. فالانتباه إلى التصور الإدراكي في تحليل هذا النوع من الآيات مهم جداً؛ لأنّ هناك أفقًا جديدًا في دلالات القرآن الكريم وعملية تكوين البنية التصورية للآيات. فشبّه عناد الكفار وتعنتهم بحمرٍ أعرضت عن الصياد الرهيب (الأسد) والهروب منه، ففي مرحلة الدخل الأول يتم تصور مجال (المبدأ) (الحمار الوحشي) بـ(الإنسان)، فالإنسان يتميز بالشعور والإدراك بينما الحيوان متخلف إدراكيًا، أما في الدخل الثاني (الهدف) فنحصل على تصورات جديدة مكتسبة بمعانٍ تستمد شأنيتها من الذاكرة الطويلة المدى، فالخطاب شبّه المنحرفين بالدابة المعروفة لما هو معروف من أنّ هذه الدابة تتميز عن غيرها بالتخلف الإدراكي، لذا فإنّ انتخابها للتشبيه يحمل مسوغها الفني، وأخيرًا في مرحلة البلورة نحصل على صورة ذهنية ندرك من خلالها واقع المنحرفين الذين يهربون من آيات الله تعالى (البستاني، 1421هـ، ينظر: 674).

وخلاصة القول: قد وفّر التفاعل بين فضائي الدخل الأرضية لتشكيل مفاهيم الفضاء الممزوج، وقد تبلور في الفضاء الممزوج مفهوم (انعدام

العقل والشعور) كمفهوم ناشئ وكامن وراء بنية الآية. يقول الحسيني في تعبيره عن البنية التشبيهية لهذه الآية: إنّ جماعة الكفرة لا تدرك أبدًا المستقبل الخطير الذي ينتظرهم وذلك لقصر نظرهم، وهم يعرضون عن مواعظ وتهديدات الآيات القرآنية وعن دعوة الرسول -صلى الله عليه وآله-، ويمكن أن نتصور شبكة التصور هذه من المرتسم الآتي:

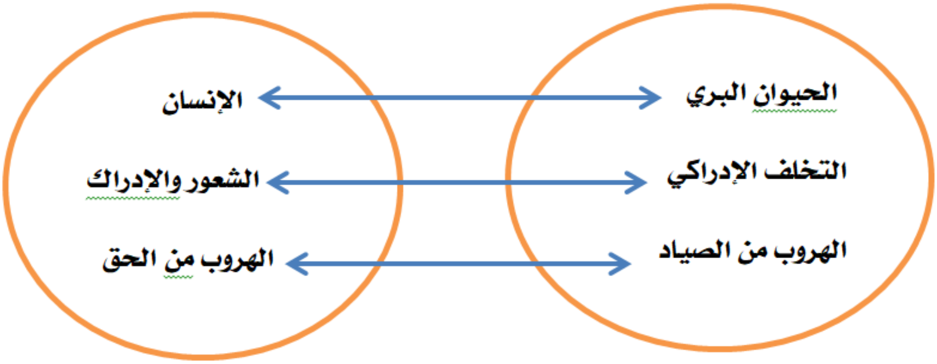

وبهذا يمكن القول إن قراءة الآية قراءة إدراكية يضطرنا إلى استعمال معرفة تصويرية غير لغوية، (البنية الصورية)، فكوننا نربط بين اللفظ وما يشير إليه يجعلنا ندخل دون أن نشعر عناصر غير لغوية لإنشاء هذا التصور حول اللفظ في أذهانن (أحمد، 2014، ينظر: 36)، وعلى هذا النحو تقوم الاستعارة بخلق مقولة جديدة ينظر الى الموضوع من بؤرتها، إذ هيأت الأجواء المناسبة لتتضمن مقولة بأُخرى مما يؤدي الى التشابه بينهما لا الى التماهي رغم أن الظاهر كذلك (مصمودي، 2017، ينظر: 69، 70).

ومن روائع الأسلوب القرآني استخدامه للكلمات المتعلقة بالمجال التصوري للنبات بشكل متكرر في القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي

ٱلسَّمَآءِ (24) تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ (25) ﴾ (إبراهيم: 24- 25).

هدفنا هو العثور على المسارات الذهنية بين مجالي المبدأ والهدف، يرى العلامة الطباطبائي أن معنى (كلمة طيبة) في الآية المذكورة وهي مجال الهدف، المعتقدات الحقيقية المتأصلة في أعماق قلب الإنسان(الطباطبائي، 1997، ينظر: 49/13). لذلك فإن القول بوحدانية الله والمثابرة فيه قول حق ((له أصل ثابت وفروع رشيدة وثمرات طيبة مفيدة ونافعة)) (الطباطبائي، 1997: 50/13)، وبالتالي يبقى مصوناً من أي تغيير وزوال وبطلان، وذلك الأصل هو أساس الحقائق، وذلك الأصل له فروع تنبت من ذلك الجذر دون أي عائق أو مانع، وتلك الفروع هي تعاليم الحق والأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة التي يضمن بها المؤمن حياته الصالحة.

وبحسب تصريح العلامة الطباطبائي، يمكن وصف مجالي المبدأ والهدف في استعارة (الإيمان بالحق هو الشجرة الطيبة)، على النحو الآتي:

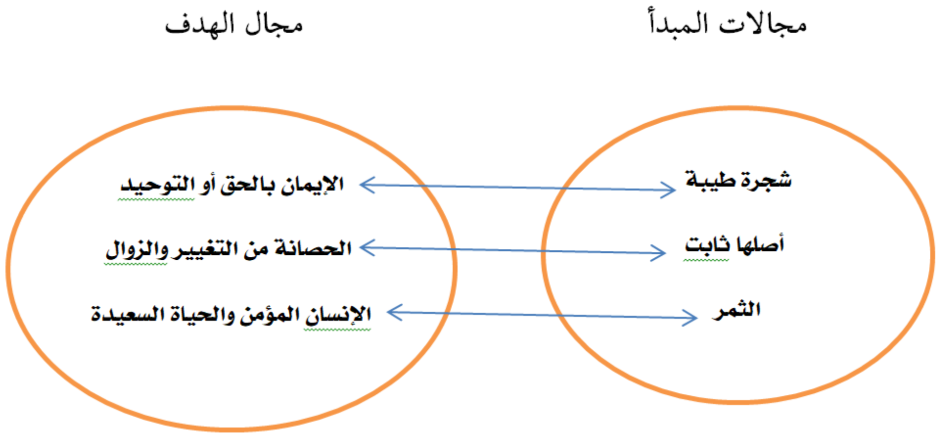

ومما تقدم تتجلى لنا بوضوح الوظيفة المهمة التي تؤديها الاستعارة التصوريّة في فهم مقاصد القرآن الكريم. إذ ينماز القرآن الكريم بأسلوبه الفريد وبنيته الجمالية والخطابية، وللاستعارات التصوريّة أثر مهم في فتح آفاق جديدة للقراء لفهم المعنى الأعمق للآيات القرآنية، والتي تُستعمل مجازيًا لإعطاء أهمية خاصة سواء فكرية كانت أم نفسية أم جمالية، وبهذا المعنى تكون الاستعارة خلقًا تلقائيًا وابتكارًا دلاليًا لا مكان له في اللغة السائدة.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ (الحديد: 20).

ففي هذه الآية، تظهر الانطباقات التصورية بين المجالات المفاهيمية للحياة البشرية في الدنيا والحياة النباتية.

الغيث: قوة جسم الإنسان

الإعجاب: الجمال الجسدي

الاصفرار: الشيخوخة

الحطام: الموت

ومن مواطن التشبيه الأخرى ما نجده من تشبيه الفهم بالرؤية (FAUCONNIER,see:10)، إذ إنّ القدرة على (التركيز) هي إحدى الآليات الإدراكيّة البشرية التي تربط أشكال (الرؤية والفهم) وتوفر الفرصة لاستخدام (الرؤية) بدلًا من (الفهم) مجازيًا. بشكل عام، ترتبط (الرؤية) بـ(الفهم) أكثر من جميع الأفعال الحسية؛ لأنّ معظم الخبرات الحسية البشرية

يتم اكتسابها بالرؤية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة:167).

ففي هذه الآيات، يُستعمل فعل الرؤية (أرى) للدلالة على الفهم والانتباه والعبرة،؛ لأنّ العين من الأعضاء التي لها دور كبير في الفهم. فالنموذج المعرفي المُستعمل في هذه الاستعارات هو نموذج متماسك يمكن اعتباره تبسيطًا إدراكيًا لواقع مجرد معقد في مجال المعرفة والإدراك. تساعدنا هذه النمذجة في مجال الرؤية على اكتساب فهم أفضل لمفهوم البصيرة والمعرفة الدينية، وبناءً على ذلك يمكن تحديد مجال المصدر وهو (الرؤيا) ومجال الهدف وهو (الفهم والانتباه)، فالذي حدث - من وجهة نظر إدراكية - هو عملية إسقاط تصوري، وتعني أنّنا نسقط المعارف المتعلقة بمجال المصدر على المعارف المتعلقة بمجال الهدف (kövecses,2010, see: 4)، فنسقط المعارف المخزونة لدينا عن البصر على المعارف المتعلقة بمجال البصيرة، فتحدث عندئذ الاستعارة (أحمد، 2014، ينظر: 97، 98)، ويمكن أن نتصور ذلك التركيب بهذا الرسم:

استعارة أنطولوجية (وجود الرؤيا) -------- استعارة بنيوية (الفهم والانتباه)

ثم ننطلق إلى استعارات جديدة مستوحاة من ذلك التصور في كل عصر، الأمر الذي يؤكد استمرار هذه الاستعارة القرآنية وتحديدها، فنرى من يقول: رؤيتي قادتني إليك، وأنا أحيا معك برؤيتك التي تنير لي الطريق.

ومن الاستعارات الأخرى ما نراه من تصورٍ لمفهوم المرض، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ (البقرة: 10).

عند العودة إلى معنى كلمة (مرض) في الآية نراها تعني الشك والنفاق والغم من الحسد والعداوة (الطوسي، ينظر: 72/1)، وفي هذا المعنى إشارة إلى المرض المعنوي الذي يصيب العقيدة ولا علاقة له بالمرض الجسدي المتعارف عليه (أحمد، 2014، ينظر: 105)، وعند إسقاط المعارف المتعلقة بالمرض الجسدي على المعارف المتعلقة بالمرض المعنوي نحصل على المطابقة في أصل المعنى (kövecses,2010:4)، فكما أنّ المرض الجسدي يُخرج الجسم عن حاله السليمة، كذلك الشك والنفاق يُخرج الناس عن حال الإيمان، ويعني هذا النظر إلى الكفر والنفاق كما لو كان مرضًا ماديًا، فيعطي مظاهرَ مختلفة لهذا الشخص المريض، فبواسطة التشخص نستطيع أن نعطي معنى للظواهر في هذا العالم عن طريق ما هو بشري (لايكوف وجنسون، 1996، ينظر: 45)، ولهذا جاء هذا النوع من المرض مقترنًا بمنبعه ومصدره وهو القلب، حيث العقيدة الصحيحة والإيمان الراسخ، فأصبحت هذه الاستعارة استعارة أنطلوجية في فكر الناس، فالمرض يصيب الجسم والفكر.

ومن روائع التشبيه القرآني ما ذُكر في مجال الزراعة، إذ كانت الزراعة من أولى التجارب البشرية، فقد استعملها الإنسان لبناء العديد من المفاهيم المجردة، فيمكن تصور حالات مختلفة للمزرعة والأرض المزروعة، وقد استفاد القرآن الكريم من هذه الخلفية المعرفية وصوّر أنواعًا مختلفة من الصدقات بصور جميلة ومبتكرة تستند إلى الاستعارة التصورية (الإنفاق رش البذور). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 261).

ففي هذا التشبيه الرائع (تشبيه الصدقة بالزراعة) نؤكد على العديد من سمات مجال المبدأ، والتي يمكن اعتبارها في شكل الاستعارات الفرعية الآتية: الأولى: هي إنّ (الصدقة هي الزراعة) (الشيرازي، 2013، ينظر: 102/3). ففي كل من التصدق والزرع، هناك فعل ظاهر وواضح لـ (فقدان) البذرة والمال المتصدق به، لكن هذا التخلي الظاهر عن البذرة هو في الواقع نوع من الاستثمار والادخار للمستقبل؛ لأنّه ستنمو من هذه البذرة المنفردة، سبع سنابل وفي كل سنبلة مائة بذرة. من ناحية أخرى، تؤكد هذه الآية أنّ الحقيقة ليست كلها ما تُرى في المظهر، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ (الروم: 7)، فمظهر هذا العمل هو خسارة المال، وآخره (أو باطنه) فهو ادخار واستثمار للمستقبل. لذلك تظهر منهجية الاستعارات التصورية في هذه السلسلة من الآيات بشكل رائع؛ لأن الله تعالى يشير في آية أخرى إلى حرث الآخرة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى: 20)، وفقًا للآية أعلاه، فإنّ عملية الحياة هي نوع من الزراعة، وهي توافق الخطاطة التصورية للطريق التي تحتوي على مكونات المبدأ والمسار والغاية، فإنّ الغاية هي إثمار زراعة الحياة، فالعلاقات الاستعارية لهذا النموذج هي (الحياة هي الزراعة)، و(الحياة هي الرحلة)، والصدقة هي رش البذور، ومع ذلك، فإنّ رش البذور وحده لا يكفي لزراعة المحصول، ولكي تُرى ثمار المحصول، هناك حاجة أيضًا إلى أرض خصبة، والذي إذا لم يتم ملاحظته، فلن يؤتي المحصول ثمارًا على الرغم من رش البذور قال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا

كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: 264)، فتستعمل هذه الآية المجالات المفاهيمية للتراب والنباتات لإظهار نتيجة الصدقة بالمنّ، وتعتبر عمل من يبطل الصدقة بالمنّ والأذى، مثل عمل المنافق الذي هو كحجر صلب أملس عليه غبار سرعان ما ينتهي إن لامسه الماء أو الهواء ولا يبقى سوى الحجر الأملس (الشيرازي، 2013، ينظر: 108/3).

وفي آية أخرى ذكر القرآن الكريم نبتة صغيرة كرمز للاستقرار والمقاومة: ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ (الفتح: 29)، تذكر هذه الآية كلاً من تعدد البراعم المزروعة من النبتة الرئيسة والقوة والاحتكام (فاستوى على سوقه). إنّ الاستعارات القرآنية التي جعلت مجال النبتة التصوري مجال المبدأ، قد استخدمت سماتها الزمنية. بعبارة أخرى، فإنّ القرآن في استخدامه للمجال التصوري للنبات يقدم بشكل أساسي صورة تاريخية وزمنية للنبات، ووفقًا لما تقدم فإنّ الآية المباركة تشبّه الحياة الزمنية المتكاملة للنبات بحياة المؤمنين التي تتزايد بالعدة والقوة يوما بعد يوم (الطباطبائي، 1997، ينظر: 304/26).

وتستعمل مجموعة أخرى من الآيات هذا المجال التصوري (النبات) لتوضيح الاستثمار والادخار طويل الأجل في شيء ما، على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡ﴾ (البقرة: 266)، تستعمل الآية أعلاه مجالين تصوريين للتعبير عن غرضها، المجال التصوري للنبات نظرًا لطول محصولها وثمارها والمجال التصوري للرياح والنار بسبب قدرة تدميرهما المفاجئ، ففي هذه الآية أيضًا،

تجدر الإشارة إلى نقاط، أولاً: لقد أصبح تفسير الزراعة حول الصدقة شجرة أو مجموعة شجر؛ لأنّ الشجرة تحتاج إلى سنوات لتصل إلى الإثمار، ثانيًا تمّ استعمال الزمن المتحرك كالنموذج المعرفي في عبارة (أصابه الكبر)، وذلك يشير إلى حتمية ويقين الوصول إلى (الكبر)، وفي الواقع، بدلاً من قول (فلانٌ بلغ سن الشيخوخة)، تم استعمال جملة (الشيخوخة وصلت إلى فلان)، وبناءً على المعطيات السابقة تتبين لنا حاجة الإنسان الشديدة إلى العمل الصالح ووجوب الابتعاد عن الرياء والمن والأذى الذي يُذهب بركة الأعمال الصالحة كما تُذهب العواصف الحارقة المزارع فتحرقها وتبيدها (الشيرازي، 2013، ينظر: 111/3).

ومما سبق يتضح أنّ الاستعارة التصوريّة مكوّن من مكونات معمار الذهن، نفكر بواسطتها ونقلص عبرها إمكان وجود معجم غير محدد يتعدد بتعدد الموضوعات في العالم، فهي على عكس ما قيل إنّها عملية نقلية نستبدل فيها معنى أصل بمعنى آخر يناسبه، على وجه التوسع والتحسين (سليم، 2001، ينظر: 74).

ومن ذلك ما نراه في تحليل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (22)﴾ (البقرة: 22)

إلقاء نظرة فاحصة على هذه الآية وحقيقة التصور الاستعاري يؤدي إلى نظرة جديدة؛ لأنّ التصور الاستعاري بناءٌ ذهني يُصور دلالة ما خاصة بشيء للتعبير عن شيء آخر(رمضان، 1432هـ، ينظر: 849)، ولتحقيق هذه النظرة، يجب أن نفكر في فضاءي الدخل من خلال مفهوم الخطاطة؛ باعتبارها البِنية المُنظمة للصور الذهنية، التي عَن طَريقِهَا يتم فهم العالم من حَولنا بصورةٍ

مُرتَّبة، يرى (مَارك جونسون) أنّ لا وجودَ للمعنى، ولن يتم إدراكه مَا لـم يكـن للخيالِ أثر مَلحوظ فيه، وَلا يمكـن للخيالِ أنْ يحقق تواصُلاً، مَا لـم يقترنْ بإدراكنا المُتجسّد للعالم (Johnson:19-20). فنضع في اعتبارنا فضاء الدخل الأول البيت المغطى بفراش جميل ودقيق يمكن الاستقرار عليه والتصرف فيه (الطبرسي، 2005، ينظر: 80/1)، وسقف قوي يحميه من الحوادث. أما فضاء الدخل الآخر فهو الأرض التي توجد فيها النعم الإلهية. ((جعلها ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم ولم يجعلها شديدة الحماء والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الرّيح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النَّتن فتعطبكم، ولا شديدة اللّين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأَبنيتكم وقبور موتاكم... فلذلك جعل الأرض فراشًا لكم)) (الشيرازي، 2013، ينظر: 81/3)، فيمكن أن نتصور الأرض كَالفراشِ فِي الاِسْتقرار والاضطجاع عليها، إذ خُلقت الارض متوسطَة بين شدةِ الصخور بحيْث تؤْلم جلْد الإنسان وبين رخاوةِ الحمأة بحيثُ يتزحزح الكائن فوقها كبيت مفروش تتواجد فيه كل وسائل الاستراحة والاستقرار (ابن عاشور، 1984، ينظر: 331/1)، ولنا أيضًا أن نتصور السماء سقفًا مرفوعًا محكمًا تفوق قدرة أضخم السدود الفولاذية يعلو البشر على ظهر هذه الأرض(الشيرازي، 2013، ينظر: 82/3). هذه المعلومات في هذه الآية تتمثل في تعدد صنوف نعم الله تعالى ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فإن العبادة إنما تجب لأجل النعم المخصوصة (الطبرسي، 2005، ينظر: 80/1).

وترتبط العناصر المنتمية الى الدخل الأول بمقابلاتها المنتمية الى الدخل الثاني بواسطة الربط بين الفضاءين، فترتبط الارض بـ(السماء) والفراش بـ(البناء) (غنيّم، 2019، ينظر: 106)، ثم يترابط الدخلان بفضاء عام يجمع

المشترك بينهما بصيغة أكثر تجريدًا يسمى الفضاء الجامع نجد فيه دلالة الاستقرار والحماية (غنيّم، 2019، ينظر: 107)، ومن خلال محاكاة ذهنية إدراكية وفقًا لمبادئ ومنطق موجودين في الفضاء الممزوج (دحمان، 2012: 163)، نكتشف عمّا يمكن أنْ تقود إليه الاستعارة التصورية من معانٍ جديدة تتمثل بيئة آمنة وسلمية، ثم مع التوسع الدلالي، وإدراك المفاهيم الأخرى مثل نوع وطريقة إعلان البركات في توسيع معنى جديد يكتمل مفهوم الراحة والرفاهية، ونظرًا لوجود مثل هذه الخصائص على الأرض وفي السماء، يتم توفير الراحة والرفاهية لأهل الأرض. فتُظهر هذه المعاني الجديدة قوة ولطف وحنان خالق الأرض والسماء، وكذلك الطبيعة الوجودية للأرض والسماء، التي أعدت للإنسان كسرير هادئ وآمن مع وفرة من البركات.

الخاتمة:

من خلال تغيير وجهة النظر من النظرية التقليدية للاستعارة إلى النظرية التصورية والمعاصرة، يمكن الوصول إلى الحقائق التي أخفاها الفهم التقليدي للاستعارة، خاصة مع توسع البحث في هذا المجال، وسيتم فتح الطريق لرسم البنية التصورية العامة للقرآن واستعاراته.

تُستعمل الاستعارة التصورية بشكل أساس لشرح المفاهيم المجردة بطريقة يتم تصور هذه المفاهيم من خلال المجالات المألوفة. وبدراسة الاستعارات التصورية للتشبيه القرآني، وجدنا أنّ مجالات المصدر هي في الأساس مفاهيم عقلانية مثل الحياة والزمن والفهم والصدقة وما إلى ذلك، وتمّ تصور هذه المفاهيم عن طريق رسمها المعرفي بمجالات ملموسة مثل الرحلة والتجارة والمكان والزراعة وما إلى ذلك.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ابـن الأثيـر. المثـل السـائر فـي أدب الكاتـب والشـاعر. دار نهضـة مصـر للطباعة والنشر. ط2. (د.مط). (د.ت).
- ابـن عاشـور، محمـد الطـاهر بـن محمـد بـن محمـد الطـاهر التونسـي (ت: 1393هـ). التحرير والتنوير= تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الدار التونسية للنشر. تونس. 1984 هـ.
- أحمـد، عطيـة سـليمان. الاسـتعارات القرآنيـة فـي ضـوء النظريـة العرفانيـة (النموذج الشبكي- البنية التصورية- النظرية العرفانية). الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة. 2014م.
- البستاني، محمود. دراسات فنية في صور القرآن. مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة. مشهد. ايران. ط1. 1421هـ.
- البـو عمراني، محمـد الصـالح. دراسـات نظرية وتطبيقيـة في علـم الدلالـة العرفاني. مكتبة علاء الدين - صفاقس. دار نهى - صفاقس. تـونس. ط1. 2009.
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء. الليثي. أبو عثمان. (ت: 255هـ). البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط7. 1418هـ - 1998م.
- جعفـري ولحمـادي، عواطـف، د. فطومـة. البنيـة الاسـتعارية فـي الـنص الادبـي - مقاربـة عرفانيـة-. دراسـات لغويـة. العلامـة. العـدد 6. تبسـة. تونس. 2018.

- دحمان، عمر. الاستعارات والخطاب الأدبي مقاربة لغوية معاصرة. جامعة مولود معمري- تيزي وزو. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية. الجزائر. (أطروحة دكتوراه). 2012م.
- رمضان، صالح عبد الهادي. النظرية الإدراكيّة وأثرها في الدرس البلاغي "الاستعارة نموذجا". ندوة الدراسات البلاغية - الواقع والمأمول. الرياض-السعودية. 1432هـ.
- زكراوي وبوثلجة، سعيدة، بهية. مفهوم الاستعارة عند جورج لايكوف ومارك جونسون من خلال كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها أنموذجا. جامعة البويرة.كلية الآداب-قسم اللغة والأدب العربي. الجزائر. 2015م.
- سليم، عبد الإله. بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب: ط1. 2001.
- الشيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت- لبنان.ط1. 1434هـ. 2013م.
- الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين (ت: 1402هـ). الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. ط1. 1417هـ - 1997م.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: 548هـ). مجمع البيان في تفسير القرآن. دار العلوم. بيروت.ط1. 1426هـ - 2005م.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت460هـ). التبيان في تفسير القرآن. قدم له الإمام المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني. دار إحياء التراث العربي. بيروت- لبنان. (د.ط). (د.ت).

- عبيد، علي صاحب. دور الاستعارات المفهومية في فهم القرآن الكريم. سورة النور أنموذجًا. جامعة آل البيت. ايران. رسالة ماجستير. 1440 هـ.
- غنيّم، أميرة. المزج التصوري النظرية وتطبيقاتها في العربية. مسكيلاني للنشر والتوزيع. تونس. ط1. 2019.
- قريرة، توفيق. الشعرية العرفانية مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعرية قديمة وحديثة. دار نهى للطباعة. صفاقس - تونس. ط1. 2015.
- لايكوف وجنسون، جورج . مارك. الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة عبد لمجيد جحفة. دار توبقال للنشر. (د. مط). ط1. 1996م.
- لايكوف، جورج. النظرية المعاصرة للاستعارة. ترجمة: طارق النعمان. مكتبة الاسكندرية - مصر. 2014.
- مصمودي، وسيمة نجاح. المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. . عمان - الأردن. ط1. 1438هـ - 2017م.

- The Body in the Mind; The Bodily Basis of Meaning ,Imagination, and Reason, Mark Johnson, The University of Chicago Press Chicago and London.
- Mappings in Thought and Language. GILLES FAUCONNIER, Unilw-siry of Californiu, SunDiego, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS.- METAPHOR APractical Introduction, zoltán kövecses, Second Edition, OXFORD UNIVERSITY PRESS, 2010.